تكون مختلفة وان ثورة في الاردن هي شرط لمحاربة اسرائيل . ولم يؤد تغيير ترتيب الاهداف الى انقاذهم ، بل ورطهم في انهيار خطر في الاردن . وبالنسبة للمفهوم السياسي يستنتج هركابي ، أنه عندما اتضح للفلسطينيين ان الاعلان عن هدف تصفية اسرائيل وابعاد سكانها لاخلاء المكان لعودة الفلسطينيين قد اضر بهم ، اخرجوا من جعبتهم الشعار القديم ، الدولة الديمقراطية ، التي يعيش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون معا في اخوة ومساواة . ولكن هذا الشعار ، حسب هركابي ، لم يحل المشكلة الاساسية وهي كيفية خلق مكان للفلسطينيين وتغيير طابع الدولة من يهودي الى عربي . ومن هنا وقع الفلسطينيون في شبكة من التناقضات عبر عنها ميثاقهم الوطني الذي طالب بالاعتراف باقلية صغيرة فقط من اليهود الذين سكنوا البلاد قبل ١٩١٧ .

ويضيف هركابي ، أنه مع ان شعار الدولة الديمقراطية احدث اثرا في اوساط عدة في الخارج ، الا انه لم يستطع جذب الانظار مدة طويلة ، فقد ظهر بوضوح انه ليس سوى لغة نظيفة لهدف قديم هو تصفية اسرائيل ، اذ انه يعارض بشدة حق اليهود في دولة لهم ، حتى انه يستوجب خفض عدد اليهود بالعنف ، لانهم لن ينصرفوا بالطرق السلمية . ويقول انه في غياب مفهوم سياسي اخر ، يستمر الفلسطينيون بالتمسك بهذا الشعار ، ولكن بثقة اقل كثيرا . وبالنسبة لاسلوب القتال ، يقول ، بعد ان يئس الفلسطينيون من التطلع الى حرب نظامية عربية شاملة ضد اسرائيل ، طوروا المبدأ القائل ان الحرب الصغيرة التي بدأوها هي الاسلوب الذي سيؤدي الى حل مشكلتهم ، وراوا في هزيمة العرب ، في حرب الايام الستة ، تصديقا لمفهومهم هذا . ويعتقد هركابي ، بان مفهومهم « الفلسطيني » ارتكز منذ البداية على مقياس كان يفتقر الى المنطق ، فقد استنبطوا ببساطة من فشل أسلوب معين ان عكسه سينجح . واستنتجوا فورا ، بالنسبة الى الحالة التي نحن بصددها ، ان حربا نظامية عربية شاملة قد فشلت ، وان حربا فلسطينية ستؤدي الى النصر . ومفهوم ان هناك على الاقل امكانا ثالثا هو أن الاسلوبين غير ملائمين . ويرى ان الفلسطينيين قد وضعوا نصب اعينهم اهدافا تتجاوز قدرتهم كثيرا ، وهذا البون الشاسع بين القدرة والهدف ينتقم منهم انتقاما قاسيا (معاريف ١٩٧٢/٦/١٦) .

حساب النفس وسياسة المراوغة

لم يكن بوسع هركابي ، بعد ما حققته الثورة الفلسطينية من انتصارات على الصعيد العالمي ، وخاصة فيما يتعلق بطرح بعض الشعارات المعتدلة ، كالسلطة الوطنية ، والاستعداد للذهاب الى مؤتمر جنيف . الا أن يعيد حساباته السابقة ، ويبدأ برسم سياسة واتجاه جديد لسياسته تجاه الفلسطينيين وبالتالي لسياسة الحكومة الاسرائيلية . كما أنه لم يكن بوسعه الا الانحناء امام ما حققه الفلسطينيون في نضالهم وكفاحهم ، فبعد ان كان يقول بان الفلسطينيين لا يعرفون ماذا يريدون ، وانهم يمزجون ويخلطون بين الاستراتيجية والتكتيك ، كما وانهم لا يشكلون ثقلا في المنطقة وانهم لا يستطيعون افشال او انجاح اية تسوية في المنطقة ، نراه الان يناقض نفسه مرة اخرى ويعترف بما انكره ونفاه بالامس .

يقول هركابي ، « ان الفلسطينيين انتصروا علينا من الناحية الثقافية ، فقد راوا امورا وخططوا للمدى البعيد . نحن لم نفعل ذلك وهذا اخطر ما حدث لنا . فهم [الفلسطينيون] ينوون بجدية . وانهم لا يمزحون ، لديهم مخططات مبلورة . وهم يعرفون كيفية النضال من اجلها . يجب دراستها وفهمها والعمل على تخطيط النضال